غسان و « لميس »

مفكرة "قصة حب"

« قدمت حياتها هدية اليه » هكذا عبر والدها عن مشاعره ، عندما وصل اليه النبأ ٠٠ كان حبا دافئا عنيفا بين « لميس » وخالها « غسان » نبت في « الكويت » حيث كان معلما يعيش في كنف اخته « الراديكالية » والدة « لميس » ٠

في كل صيف كانت تجيء اليه من الكويت الى بيروت ، وكانت تشاركه وأسرة « الهدف » بفرح مبهج في الاحتفال السنوي الذي كان يقيمه غسان بمناسبة عيد الهدف ٠٠ في منزله ٠ وزوايا مكاتب مجلتنا لا تزال تتذكر « لميس » وفرحها الطفولي ، وهي تنبش اوراق المحررين ٠٠ « لميس » كانت ايضا من اسرة الهدف ، كانت طفلة الاسرة التي فاجأها اليتم والثكل معا ٠

في اعياد ميلادها كانت اصابع غسان الخضراء تزهر اشعارا وقصصا لطيفة ورسوما ملونة يجمعها في دفتر صغير انيق ويقدمها هدية الى الحبيبة الطفلة الحلوة ، هدية في عيدها ٠ حتى رسائله اليها كانت تنفح فنا هادئا ٠٠ كانت القصص التي يكتبها اليها في اعياد ميلادها تتطور من حيث الشكل والمضمون بما يتناسب مع تطور مداركها الذهنية والحياتية ٠٠

وعندما امتدت اليه شظايا الغدر لم توفر جسد « لميسه » الناعم الجميل ٠٠ وفي مقبرة الشهداء كانا ينامان واحدهما الى جانب الاخر ٠٠ كان قبراهما صغيرين هادئين وصورتاهما جميلتين ٠٠ لكن حزنا عظيما يخصهما بأزهاره الملونة ٠٠

وقفنا امام القبر في حزن كبير كتابا ومحررين وبيننا زوجة غسان المناضلة « آني كنفاني » ٠ ٠وكان اطفال « مؤسسة غسان كنفاني الثقافية » ينشدون له اناشيد الوفاء والثورة ٠٠ عندئذ ، نهضت في دماغي الاسئلة ٠٠

– ١ –

فايز وليلى طفلا غسان جميلان ايضا ، ويحملان ملامحه الوسيمة ٠٠ فلماذا لم يخصهما بتلك القصص والرسوم والاشعار ؟٠

كان غسان يحب طفليه كثيرا ٠٠ وكان يحب آني ٠٠ وكان يحب فلسطين ، وحبه الخاص للميس كان جزءا من حبه للميس ٠٠ للمستقبل الفلسطيني ٠٠

عبر رسائله للميس وقصصه وأشعاره ورسومه لها ، كان يعكس احلامه بمستقبل افضل للاطفال ٠٠ وكان يذكر لميس بأنه قد لا يعود الى فلسطين انما هي والاطفال من تنتظرها بلادنا المحتلة ٠٠ ولكنه سافر في قطار الدم مع « لميس » الى يافا ٠٠ عاد وعادت لميس معه ٠٠ وبقينا جميعا ننتظر قطار دم اخر يقلنا الى حيث غسان الان ٠٠

غسان الان ليس في مقبرة الشهداء ، لكنه من حفرة في تلك الارض اللبنانية نفذ مع حبيبته ، ومنذ شهور اعتقلته سلطات الاحتلال في الناصرة !٠

– ٢ –

كانت لميس الوتر الذي يعزف غسان عليه اناشيده الى الاطفال ، وكانت ملهمته الذي استوحى منها احلامه وقصصه وأشعاره ورسومه التي تعبر عن رؤيته للمستقبل الفلسطيني الذي يجسده نمو الاطفال الفلسطينيين ٠٠ وفي الوقت الذي كان « ابو هاني » يدربهم على الفعل الثوري ، كان « ابو فائز » ينقل اليهم الوعي الثوري ٠

للميس الحلوة الذكية خصوصيتها وامتيازها ، ولولا تلك الخصوصية وذلك الامتياز لا اظن انها كانت تحظى باختيار غسان لها رفيقة احلامه الكبيرة ٠٠ كان غسان دقيقا في اختياراته لرفاقه ، للميس وللآني وللكلمات التي اشعلت اذهان الالاف من شعب فلسطين وأذهان الالاف من العرب والاجانب ٠

– ٣ –

اذن عندما دخل غسان حياته الجديدة كانت « لميس برفقته » وبقي عالم الطفولة المحفوف باحتمالات الخراب والافساد متسلحا بمتاريس الحب التي احاط بها غسان هذا العالم البريء الجميل العذب٠٠

كان غسان يرعى شجرة الطفولة الفتية ويسمدها بالعذاب الفلسطيني رادا عنها اخطار رمل الخليج ٠٠

وكان غسان يحيط هذه الشجرة بالنسيم والطقس المناسب لتحيا وتنمو دون حواجز تعيق انتشارها ٠٠

ادخل غسان لميسه في قلبه الكبير ، ثم اخرجها الينا مصبوغة بالحنان والامل والاشراق ٠٠

وحين رحل اعادها الى قلبه ودخلا بوابة الشهادة ! ٠٠

– ٤ –

عندما امتدت اليكما مخالب الغدر ، كانت تستهدف اغتيال الحاضر الفلسطيني « غسان » والمستقبل الفلسطيني (لميس) ٠٠

هل يشغلنا حاضرنا عن مستقبلنا ؟ ٠٠ لا اظن

ولكن حروف اسمك الحلو كانت « ل٠ م٠ ي٠ س » تكبر في ذاكرة الشعراء والاطفال ٠٠ والمستقبل آت ٠٠

هكذا قال غسان الحاضر دائما ٠

هادي دانيال